الصلات السياسية بين نجد وعسير

(١٢٣٣-١٣٠٩هـ/١٨١٨-١٨٩١م)

دراسة تاريخية

د. دلال بنت محمد السعيِّد
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك عبدالعزيز

كان إقليم عسير من المناطق التي أيدت الدولة السعودية الأولى ودخلت في طاعتها، وذلك بفضل جهود بعض أهالي المنطقة الذين اقتنعوا بما نادت به الدعوة الإصلاحية في نجد، وكان في مقدمة هؤلاء المؤيدين محمد وعبدالوهاب أبو نقطة[(١)]، اللذان وفدا إلى الدرعية سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، حيث أقاما فيها عامًا للدراسة ولتلقي مبادئ الدعوة

(١) هما من آل المتحمي من قبيلة ربيعة رفيدة، تولى محمد إمارة عسير من سنة ١٢١٥هـ حتى ١٢١٧هـ / ١٨٠٠-١٨٠٢م حيث توفي إثر إصابته بالجدري وهو في طريق عودته من الدرعية لقضاء بعض مهمات مركزه، ومن ثم تولى من بعده أخوه عبدالوهاب حتى سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م. انظر: عبدالرحمن أحمد البهكلي: نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تكملة: الحسن بن عاكش، دراسة وتحقيق: محمد العقيلي، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٢٥٥-٢٥٦؛ محمد أحمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، (الطبعة الثالثة، مطابع الوليد، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ج١، ص٥٢٨.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٣٢هـ، السنة السابعة والثلاثون
الدارة

الإصلاحية، ثم عادا إلى بلادهما وتوليا مهمة نشر الدعوة هناك[٢].

وتولى إثرها محمد أبو نقطة الإمارة في عسير تابعًا للدولة السعودية الأولى، وقد بذل جهودًا كبيرة لنشر الدعوة السلفية في أجزاء متعددة من مناطق جنوب غرب الجزيرة العربية، وبعد وفاته تولى الحكم من بعده أخوه عبدالوهاب سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، فواصل جهوده في نشر الدعوة في تلك الجهات، حيث انضم معظم إقليم عسير: سراة وتهامة، إلى الدولة السعودية الأولى[٣]، وتولت بعدها الإشراف على شؤون المنطقة وإرسال القضاة والمعلمين إليها للوعظ والإرشاد والتدريس[٤]، وبرز إقليم عسير آنذاك بصفة

(٢) محمد بن هادي بن بكري العجيلي: الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين، حققه: عبدالله بن محمد أبو داهش، (الطبعة الأولى، أبها: مازن للطباعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص٢٣.

(٣) علي أحمد عسيري: عسير من ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م-١٢٨٩هـ/١٨٧٢م، دراسة تاريخية، (أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص٢٤٤-٢٤٥؛ أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية الأولى من محمد بن سعود إلى عبدالرحمن الفيصل ١١٥٨-١٣٠٧هـ (بيروت: دار الكاتب العربي، ب. ت) ج١، ص٧٢؛ عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج١، ص١٣٨.

(٤) من هؤلاء كان القاضي عبدالعزيز بن عبدالله بن شبانة الذي استعمله الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود قاضيًا في عسير في عهد الأمير عبدالوهاب أبو نقطة. انظر: عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، (الطبعة الرابعة، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج٢، ص٥٧-٥٨.

سياسية وعسكرية أقلقت جيرانه المحيطين به من عدة جهات، مثل: أمراء مكة المكرمة الأشراف في الحجاز، وأشراف أبو عريش قاعدة المخلاف السليماني، وقبائل يام في الجنوب الشرقي لمنطقة عسير، وأئمة اليمن في صنعاء(٥).

وقد خاض عبدالوهاب أبو نقطة ومن تولى حكم عسير من بعده من آل المتحمي وهما طامي بن شعيب(٦)، ومحمد بن أحمد(٧)، كثيرًا من المعارك والمواجهات العسكرية وتحقق لهم

(٥) محمد بن عبدالله آل زلفة: دراسات في تاريخ عسير الحديث، (الطبعة الأولى، الرياض: مطابع الشريف، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م)، ص٢٣-٢٤.

(٦) طامي بن شعيب: ابن عم محمد وعبدالوهاب أبو نقطة، صدر الأمر من الدرعية بتعيينه أميرًا على عسير سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، وقد واصل مهمة تثبيت حكم الدولة السعودية الأولى في عسير، ودخل في عدة معارك ضد خصومها، كما تصدى للحملات العثمانية التي تقدمت إلى المنطقة وهي في طريقها للقضاء على حكومة الدرعية، وانتهى به الأمر إلى القبض عليه وإرساله إلى الأستانة سنة١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م، حيث طيف به في شوارعها ثم أعدم بعد ذلك. انظر: عبدالرحمن البهكليَ: نفح العود، ص٢٦٠؛ محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٣٠؛ فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، (الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص٣٦١.

(٧) محمد بن أحمد المتحمي: تولى الإمارة بعد مقتل ابن عمه طامي، وقد قويت شوكته بعد نجاحه في القضاء على الحامية العثمانية التي قدمت على عسير مع أوائل حكمه، فأرسلت إليه حملة أخرى سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م تمكنت من الاستيلاء على عسير، فطلب العون والمساعدة من أمير تهامة حمود الخيراتي فأمده بقوة ضمت فيها هذا الإقليم لحكمه حتى سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م، أما الأمير محمد فقد أسره شريف مكة محمد بن عون حين قاد حملة على عسير وأرسله إلى مصر، حيث قتل هناك، وبمقتله انتهى حكم أسرة آل المتحمي لعسير. انظر: عبدالرحمن أحمد البهكلي: نفح العود، ص٢٩٨. هامش١.

النصر فيها، وثُبِّتَ الحكم السعودي في معظم تلك الجهات[٨].

وحين وصلت طلائع الحملات العثمانية إلى بلاد الحجاز بهدف القضاء على الدولة السعودية الأولى، هب أهالي عسير لصد تلك القوات ودخلوا في عدة معارك ضدها[٩]، وسارع أمراؤه إلى مد يد العون والنجدة لأئمة الدرعية بإرسال المقاتلين ليحاربوا جنبًا إلى جنب مع القوات السعودية، وظل هذا الإقليم في مقدمة القوى المحلية في الجزيرة العربية التي رفضت الاعتراف بالسلطة العثمانية وحاربت قواتها حتى آخر لحظة، كما كان هذا الإقليم رائدًا في محافظته على ارتباطه بالدولة السعودية خلال حروبها ضد الحملات العثمانية، ونتيجة لذلك شددت حكومة محمد علي[١٠] - بتكليف من الدولة العثمانية - قبضتها على هذا الإقليم وأرسلت الحملات العسكرية المتوالية للقضاء على ثورات القبائل العسيرية

(٨) علي عسيري: عسير، ص٢٤٤-٢٤٦.

(٩) محمد آل زلفة: دراسات في تاريخ عسير الحديث، ص٣٥.

(١٠) محمد علي باشا: أصله من بلاد مقدونيا التابعة لليونان، كان يعمل بتجارة الدخان في بلدة بروسة، منحه حاكم البلدة رتبة يوزباشي نتيجة لبعض مجهودات قام بها، ثم قدم إلى مصر بأمر من الدولة العثمانية مع مجموعة من الجند حين احتلت من قبل حملة نابليون بونابرت، وقد بذل نشاطًا كبيرًا وهمة عالية في المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين؛ فاجتمع إليه زعماء الشعب المصري بعد ذلك واختاروه واليًا عليهم سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، وظل في الولاية حتى وفاته سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م. انظر: عائض بن خزام الروقي: حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ١٢٤٧-١٢٥٥هـ/ ١٨٣١-١٨٣٩م، (مطابع جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ)، ص١٥، هامش٢.

المستمرة ضدهم هناك(١١)، إلا أن أهالي المنطقة استمروا في المقاومة حتى سقط الواحد تلو الآخر مقدمين في صمودهم ودفاعهم أروع الأمثلة في الشجاعة والإقدام(١٢).

وبذلك نلحظ أن أمراء عسير كانوا من المساندين المهمين للدولة السعودية، فقد حملوا على عاتقهم نشر الدعوة الإصلاحية في مناطق جنوب الجزيرة العربية وجنوب غربها، كما تولوا الدفاع عنها، وكان الأهالي من الذين اعتمدت عليهم الدولة في حروبها في أثناء ضم المناطق لها، وفي التصدي للحملات العثمانية التي قدمت للقضاء على الدولة السعودية الأولى، حيث دخل الإقليم في عدة مواجهات عسكرية ضدها، وفي نهاية المطاف لم تتمكن الدولة السعودية الأولى من الصمود أمام المد العثماني، فانهارت القوى المدافعة وسقطت العاصمة الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م(١٣)، ولمدة مؤقتة، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من النهوض وإعادة كيان الدولة من جديد.

---

(١١) عبدالمنعم الجميعي: ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية منذ الدولة السعودية الأولى من ١٢١٥-١٢٨٩هـ/ ١٨٠٠ -١٨٧٢م، (الطبعة الأولى، خميس مشيط: دار جرش للنشر والتوزيع، دار مصر للطباعة، ب. ت)، ص٢٨؛ محمد آل زلفة: دراسات في تاريخ عسير، ص٤٦.

(١٢) هاشم سعيد النعمي: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص١٨٣، وعبدالمنعم الجميعي: عسير خلال قرنين، ١٢١٥-١٤٠٨هـ/١٨٠٠-١٩٨٨م، دراسة في ضوء الوثائق والنصوص التاريخية العسيرية والمصرية وغيرها، (الطبعة الأولى، مطبوعات نادي أبها الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص١٢.

(١٣) لمزيد من التفصيلات عن هذه الأحداث يمكن الرجوع إلى: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: الدولة السعودية الأولى =

أولاً: الأوضاع في نجد وعسير منذ سنة ١٢٣٤ حتى ١٢٤٩هـ/ ١٨١٩-١٨٣٤م والصلات بين الإقليمين في تلك الفترة

بعد أشهر من سقوط الدرعية، ظهرت محاولات جريئة لإعادة إقامة الدولة من جديد، ابتدأها محمد بن مشاري بن معمر(١٤)، بقدومه إلى الدرعية سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م، وأخذ يعيد بناءها، ودعا قادة المنطقة إلى مبايعته، وبدأت بوادر النجاح تلوح لحركته، حيث دانت له بعض البلدان النجدية بالولاء والطاعة(١٥)، ولكن مقدمات نجاح ابن معمر لم تستمر؛ فقد قدم عليه في الدرعية أحد أمراء آل سعود هو الأمير مشاري بن سعود(١٦)، وحين رأى ابن معمر ذلك قرر

= ١١٥٨-١٢٣٣هـ/١٧٤٥-١٨١٨م، (الطبعة السادسة، القاهرة: منشورات دار الكتاب الجامعي، ١٤١٨هـ/ ١٧٧٩م)، ج١، ص٣٤٠-٣٥٧؛ عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص١٩١-٢٠٧.

(١٤) محمد بن مشاري بن معمر: خاله الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، قدم من العيينة إلى الدرعية، حيث اتخذها مركزًا لإمارته، عُرف بالثراء ووفرة السلاح لديه. انظر: عبدالله بن محمد البسام، مخطوط تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نقله عن الأصل: نور الدين شريبة، نسخة مصورة من دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ورقة ١١٧.

(١٥) محمد بن عمر الفاخري: الأخبار النجدية، دراسة وتحقيق: عبدالله الشبل، (الرياض، مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ص١٣٥؛ عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص٢١٥-٢١٦.

(١٦) مشاري ابن الإمام سعود بن عبدالعزيز: كان ضمن الأسرى الذين أخذوا أثناء حصار الدرعية، حيث رُحِّلَ إلى مصر ولكنه استطاع الهروب والعودة إلى نجد في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م. انظر: مقبل بن عبدالعزيز الذكير: مخطوط له ثلاثة أسماء هي: العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية، ومطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود، وتاريخ نجد القديم والحديث، نسخة مصورة من دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ورقة ٥٣.

التنازل لمشاري عن الحكم ومبايعته، كما بايعه أهل نجد إمامًا عليهم(١٧)، واستقرت له الأحوال فيها، إلا أن ابن معمر ندم على هذا التنازل، فرجع عن بيعته معلنًا عدم الولاء لمشاري، وسارع بمهاجمته والقبض عليه وحبسه(١٨)، وتولى سدة الحكم للمرة الثانية، إلا أنه لم ينعم بإمارته طويلاً، فقد قدم إلى الدرعية الأمير تركي بن عبدالله(١٩)، واستعاد حكم البلاد منه وذلك يوم الخامس من شهر ربيع الأول من عام ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م، وحظي بمبايعة الأهالي متخذًا من مدينة الرياض قاعدة لحكمه، ولكن سرعان ما قدمت حملة عثمانية جديدة بهدف القضاء على هذه الدولة الناشئة، سارع بعدها الإمام تركي إلى الخروج من الرياض، وظلت البلاد مسرحًا للفتن والثورات عدة سنوات، حتى تمكن من العودة إليها مرة ثانية، حيث تولى حكم البلاد سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م(٢٠)، ونجح

(١٧) عبدالله البسام: مخطوط تحفة المشتاق، ورقة ١١٧؛ الفاخري: الأخبار النجدية، ص١٣٥.

(١٨) بعد حبسه سلمه للحملة العثمانية التي كانت قد استقرت في القصيم وهي في طريقها إلى نجد ثم راسل قائدها معلنًا تبعيته للدولة العثمانية، وأنه يحكم البلاد باسمها، أما مشاري فقد توفي في حبسه بعد ذلك. انظر: مخطوط مقبل الذكير، ورقة ٥٤؛ عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص٢٠٩.

(١٩) تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود: ورد أول ذكر له في المؤلفات التاريخية المعاصرة عند مشاركته في الدفاع عن الدرعية أثناء حصارها من قبل إبراهيم باشا، حكم الدولة السعودية لفترتين، حيث استعاد المناطق نفسها التي خضعت لأجداده أئمة الدولة السعودية الأولى ما عدا إقليم الحجاز. انظر: مخطوط الذكير، ورقة ٢٢٦.

(٢٠) عائض بن خزام الروقي: حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة، ص١٦١-١٦٢.

في إخراج الحاميات العثمانية من الرياض متخذاً منها عاصمة لحكمه[٢١]، ومؤسسًا الدولة السعودية الثانية[٢٢]، وبإمامته انتقل الحكم في آل سعود من ذرية الإمام عبدالعزيز بن محمد إلى ذرية أخيه عبدالله بن محمد، وبقيت فيها إلى يومنا هذا[٢٣].

وبعد ذلك تمكن من توحيد أكثر المناطق التي كانت تابعة لأجداده أئمة الدولة السعودية الأولى، حيث استطاع أن يضم إليه البلدان النجدية كافة، التي بايعته دون تردد، كما ضم إليه إقليم الأحساء، ووصل بنفوذ دولته إلى مناطق ساحل الخليج العربي التي ظلت على ولائها لآل سعود منذ عهد دولتهم الأولى[٢٤].

وقد قضى الإمام تركي سنوات حكمه وهو يجاهد من أجل إرساء دعائم الدولة، ونجح في تثبيت أركانها، ونعمت دولته

(٢١) إبراهيم بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠-١٣٤٠هـ، (مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ص١١٣؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، (الطبعة الخامسة، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص٣٣٧.

(٢٢) منير العجلاني: الإمام تركي بن عبدالله، بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية، (الرياض: مطابع دار الشبل، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج٥، ص٢١؛ عبدالله الصالح العثيمين: بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، (الطبعة الأولى، الرياض: مطابع دار الهلال للأوفست، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص١٥١.

(٢٣) فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، ص٣٤٣.

(٢٤) عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص ٢٣٤، ٢٢٩.

بالهدوء والأمن والاستقرار حتى قتل، في آخر جمعة من شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م[٢٥].

ووسط هذه الأحداث التي كانت تمر بها بلاد نجد، كان إقليم عسير يعاني من الفتن والثورات والاضطرابات بسبب الهجمات العثمانية التي قادها والي مصر وساندها شريف مكة المكرمة محمد بن عون[٢٦]. الذي تزعم حملة على عسير سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م وتمكن من السيطرة على المنطقة متخذًا من بلدة طبب[٢٧] قاعدة

(٢٥) قتله أحد المماليك السود ويدعى إبراهيم بن حمزة بن منصور بتحريض من ابن أخته الأمير مشاري بن عبدالرحمن، الذي كان ضمن الأسرى الذين رُحلوا إلى مصر ولكنه استطاع العودة إلى البلاد سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م، وقد أكرمه خاله وعينه أميرًا على منفوحة، ولكن زين له ضعاف النفوس الثورة ضد خاله طمعًا في الحكم فدبر مؤامرة اغتياله. انظر: مخطوط مقبل الذكير، ورقة ٢٢٦؛ ابن بشر: عنوان المجد، ج٢، ص٤١؛ أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، ج١، ص١٤١.

(٢٦) محمد بن عبدالمعين بن عون: من الأشراف العبادلة، تولى إمارة مكة المكرمة لثلاث مرات، ومجمل سنوات حكمه بلغت نحو ثماني وعشرين سنة، توفي في ١٣ شعبان سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م، وعمره سبعون سنة. انظر: عبدالفتاح حسن راوه: تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، (الطائف: مكتبة المعارف، ب. ت) ص٣٨٠، هامش (١).

(٢٧) طبب: من قرى رفيدة تقع في أسفل وادي تهلل، وقد كانت عاصمة إقليم عسير ومركزًا للإمارة في عهد آل المتحمي، كما كانت مقر الدعاة للحركة الإصلاحية، ومنطلقهم لنشر مبادئ الدعوة السلفية ومد نفوذ الدولة السعودية في المناطق المجاورة لها. انظر: عبدالرحمن صادق الشريف: جغرافية المملكة العربية السعودية، إقليم جنوب غرب المملكة، (دار المريخ للنشر، ١٤١٤هـ/١٩٨٤م)، ج٢، ص٣٠٩؛ أحمد يحيى آل فائع: دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة =

له[٢٨]، فخضعت عسير للنفوذ العثماني، وعمت بعدها الفوضى والاضطرابات في المنطقة، الأمر الذي أدى إلى مقاومة الأهالي لحملات والي مصر، مما حدا بالدولة العثمانية إلى مراسلة محافظها على مكة المكرمة أحمد باشا يكن[٢٩]، تؤكد عليه ضرورة متابعة الأحوال في عسير والقضاء على الثورة فيها[٣٠]، وإبلاغ الأهالي بأن استمرارهم في العصيان سيؤدي إلى قتلهم جميعًا حتى يصل إلى نسائهم وأطفالهم[٣١]، وهذا من أكبر الأدلة التي تؤكد حرص الدولة العثمانية على عدم قيام حكومة وطنية في البلاد، وعلى

= السعودية الأولى في عسير وما جاورها ١٢١٥ -١٢٣٣هـ/ ١٨٠٠-١٨١٨م، (الطبعة الأولى، الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص١٤٦.

(٢٨) عبدالرحمن البهكلي: نفح العود، ص٢٦٠؛ محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٣٣-٥٣٥؛ وعلي بن حسين صميلي: العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير في القرن الثالث عشر الهجري ١٢١٧-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٢-١٨٤٧م، (١٤١٩هـ)، ص٥٠، هامش٤٣.

(٢٩) أحمد باشا يكن: هو ابن أخت محمد علي، وقد عينه إبراهيم بعد عودته من الحجاز إلى القاهرة سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م محافظًا على مكة، وحاكمًا عامًا على الحجاز، وقائدًا عامًا لجيوش محمد علي الموجودة بشبه الجزيرة العربية. انظر: عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/١٨١٩-١٨٤٠م، (الطبعة الثانية، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ج٢، ص٣٦.

(٣٠) دفتر رقم ١٤معية تركي. وثيقة رقم ٨٣ من الجناب العالي إلى محافظ مكة بتاريخ ٢٩ شعبان ١٢٣٨هـ.

(٣١) دفتر رقم ١٤ معية تركي. وثيقة رقم ٨٨ من الجناب العالي إلى محافظ مكة بتاريخ ٢ رمضان ١٢٣٨هـ.

رغبتها في إخضاع الإقليم لحكمها المباشر بما يخدم مصالحها وسياستها في المنطقة.

ولصعوبة الموقف في البلاد فقد بعث المسؤولون في الحجاز مطالبين الدولة العثمانية بالدعم والمساندة وإمدادهم بالقوات اللازمة(٣٢)، فأمدتهم بالعساكر والآليات مؤكدة لهم في رسائلها ضرورة التوجه بهم إلى عسير(٣٣)، وأن يتبعوا تنظيمًا جديدًا في معاملتهم يتمثل في الآتي:

١ - أن يجمعوا كبار قادة المنطقة ويطلبوا منهم تسليم أسلحتهم وأسلحة القبائل كافة(٣٤).

٢ - الاستعانة بشيوخ القبائل في البادية لطلب المساندة منهم والحصول على الجمال اللازمة التي يحتاج إليها الجيش لمسيره إلى تلك الجهَات(٣٥).

مع الإشارة في مراسلاتها إلى أنها لم تغفل عن قادة المنطقة فقد دونت أسماءَهم واحدًا واحدًا بعد التقصي

---

(٣٢) دفتر رقم ١٦ معية تركي. الأمر رقم ٣٤ من الجناب العالي إلى والي جدة، بتاريخ ٢ ذو الحجة ١٢٣٨هـ.

- ودفتر رقم ١٦ معية تركي. أمر رقم ٣٨ من الجناب العالي إلى والي جدة، بتاريخ ١٨ ذو الحجة ١٢٣٨هـ،

- و دفتر رقم ١٦ معية تركي. وثيقة رقم ٣٩ من الجناب العالي إلى ناظر العساكر الجهادية بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٢٣٨هـ.

(٣٣) دفتر رقم ١٤ معية تركي. أمر رقم ١٧٨ من الجناب العالي إلى محافظ مكة، بتاريخ ٢١ ذو الحجة ١٢٣٨هـ.

(٣٤) دفتر رقم ١٤ معية تركي. وثيقة رقم ٢٣٢ أمر كريم إلى محافظ مكة، بتاريخ ١٦ صفر١٢٣٩هـ.

(٣٥) دفتر رقم ١٤ معية تركي. وثيقة رقم ٢٣١ أمر كريم إلى محافظ مكة، بتاريخ ١٦ صفر١٢٣٩هـ.

عنهم[٣٦]، لمتابعتهم مستقبلاً، كما ذكرت كذلك بأنها في حالة قلق من هذه الثورات التي تخشى من امتدادها لتصل إلى القبائل والعربان المقيمين في أطراف مكة والمدينة[٣٧]. وقد رد محافظ مكة على هذه المراسلات بأنه قرر التوجه إلى تلك المنطقة وعزم على تنفيذ ما أوكل إليه من مهام بجمع الأسلحة لإعادة الأمن والتبعية للدولة العثمانية في تلك الجهات[٣٨]، وأنه سبق أن أرسل العساكر إلى هناك معززين بالمشاة والفرسان ودخلوا في معارك مع قادتهم[٣٩]، حيث تمكن من هزيمتهم ونجح في إنهاء هذه المسألة بعد أن هاجم مركزهم ونظم الأحوال هناك[٤٠]، ثم عاد بجيشه إلى مكة المكرمة[٤١]، وقد أرسل السلطان العثماني إلى ولاته في الأقاليم الأخرى ببشارة هذا النصر الذي تحقق لقواته في عسير[٤٢]. إلا أن

(٣٦) دفتر رقم ١٦ معية تركي. وثيقة رقم ١١٠ من المعية إلى أمين جمرك جدة، بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٢٣٩هـ.

(٣٧) دفتر رقم ١٤ معية تركي. ورقة٤٤. أمر رقم ٣٣٥، من الجناب العالي إلى الصدر الأعظم، في ١٦ رجب ١٢٣٩هـ.

(٣٨) صحيفة ٧٦. نمرة المكاتبة ٢٢٩ من الجناب العالي إلى محافظ مكة، بتاريخ ٣ جماد الثانية ١٢٣٩هـ.

(٣٩) دفتر رقم ١٤ معية تركي. ورقة٤٤. أمر ٣٣٢ من الجناب العالي إلى كتخدا الصدر الأعظم، بتاريخ ١٦ رجب ١٢٣٩هـ.

(٤٠) دفتر رقم ١٤ معية تركي. ورقة ٤٩. رقم ٣٦٦ من الجناب العالي إلى الصدر الأعظم، بتاريخ ٥ رمضان ١٢٣٩هـ.

(٤١) دفتر رقم ١٤ معية تركي. ورقة ٥٣. رقم ٣٨٨ من الجناب العالي إلى أمين جمرك جدة، بتاريخ ١١ رمضان ١٢٣٩هـ.

(٤٢) دفتر رقم ١٤ معية تركي. ورقة ٥٨. أمر ٤٢٢ من الجناب العالي إلى سر عسكر السودان وكردفان بتاريخ ١٧ شوال ١٢٣٩هـ.

هذا النصر كان مؤقتًا فقط، فسرعان ما ثار الأهالي بزعامة سعيد بن مسلط المغيدي[٤٣]، وهاجموا القوات العثمانية التي كان يقودها آنذاك الشريف محمد بن عون[٤٤]، وانتصروا عليها، ونتيجة لهذه الانتصارات التي تحققت لأهالي عسير بزعامة سعيد بن مسلط فقد علت مكانته بينهم، وتولى الإمارة في عسير سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م، متخذًا من بلدة السقا[٤٥] مركزًا لحكمه[٤٦]، فحمل لواء المقاومة ضد قوات أمير مكة المكرمة محمد بن عون الذي كان يواصل حملاته على المنطقة تباعًا بإيعاز من الدولة العثمانية[٤٧]، وقد نجح ابن مسلط في مواجهة هذه القوات وصدها والتفوق عليها،

(٤٣) سعيد بن مسلط المغيدي: انتقلت الإمارة في عسير بحكمه من قبيلة ربيعة رفيدة إلى قبيلة بني مغيد، تولى سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م في زمن تكالبت فيه الحملات العثمانية - المصرية، مضافة إلى أطماع شريف مكة. وتعد فترة حكمه من أصعب الفترات التي مر بها إقليم عسير.

انظر: محمد آل زلفة: دراسات في تاريخ عسير، ص٣٦.

(٤٤) دفتر رقم ١٤ معية تركي. ورقة ٦٠. أمر ٤٣٤ من الجناب العالي إلى أحمد باشا.

(٤٥) السقا: تقع غرب مدينة أبها وقد اتخذها الأمير سعيد بن مسلط مركزًا لحكمه وعاصمة لعسير بعد الخراب الذي لحق بالعاصمة السابقة مدينة طبب سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م، إثر الحملات العثمانية المصرية. انظر: علي الصميلي: العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير، ص٥١، هامش٤٤.

(٤٦) محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٣٢؛ علي الصميلي: العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير، ص١٩٥-١٩٦.

(٤٧) دفتر رقم ٢٠ معية تركي. وثيقة رقم ١٥٣. ورقة ٢٩. كتاب لأحمد باشا يكن محافظ مكة، بتاريخ ٢٤ محرم ١٢٤١هـ.

وظل في مرحلة مواجهة متكافئة ضد هذه القوات حتى وفاته سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م(٤٨)، وتولى الإمارة من بعده ابن عمه علي بن مجثل(٤٩)، الذي لم يكن بعيدًا عن مجرى الأحداث السياسية في المنطقة، فقد كان يعمل جنبًا إلى جنب مع سلفه ابن مسلط، وكان مندوبًا له في بعض المفاوضات مع محافظ مكة المكرمة أحمد باشا(٥٠)، وقد وسع حدود إمارته، ووصل بقواته متقدمًا إلى أبو عريش(٥١)، حيث أصبح له نشاطٌ عسكريٌ واضحٌ في المنطقة، مما دعا الدولة العثمانية إلى مراسلة مسؤوليها في الحجاز موضحة لهم خشيتها من

(٤٨) محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٣٥؛ وغيثان بن جريس: عسير، دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص٣٠.

(٤٩) علي بن مجثل المغيدي: يعتبر عهده فترة انتقالية في تاريخ عسير لحسن سياسته في استقطاب الأهالي والقبائل حوله، عُرف عنه تمسكه بالدعوة الإصلاحية، وعمله على نهج حكام آل سعود وسياستهم، اشتهر بعدله وتسامحه وحبه للعلم والعلماء. انظر: محمد آل زلفة: دراسات في تاريخ عسير، ص٣٦-٣٧؛ عبدالمنعم الجميعي: ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية، ص٢٩.

(٥٠) دفتر رقم ٢٠٠ معية تركي، ورقة ٣٢ من الجناب العالي إلى رستم أفندي وكيل محافظ جدة، بتاريخ ٤ صفر ١٢٤١هـ.

(٥١) دفتر رقم ٢ عابدين. وثيقة رقم ٢٢ من الجناب العالي إلى أحمد باشا محافظ مكة، بتاريخ ٢٢ شعبان ١٢٤٢هـ؛ وأبوعريش: تقع في شرق السهل الرسوبي لساحل البحر الأحمر وقد نشأت في الأصل محطة قديمة في طريق حجاج اليمن، وفي طريق القوافل منذ القرن الثاني الهجري، ثم صارت قاعدة للمخلاف السليماني في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين. انظر: عبدالرحمن الشريف: جغرافية المملكة، ج٢، ص٢٠٢.

أن يزحف هذا الأمير إلى مكة المكرمة(٥٢)، ولذلك استدعت الحالة أن يطلب المحافظ دعمًا سريعًا وقوة كافية لحماية تلك الأماكن، لذلك انتُدب عدد من القادة والجنود للقضاء على ابن مجثل وأتباعه(٥٣)، الذي كانت قواته في ازدياد، حيث تمكن من الوصول بقواته إلى تهامة اليمن وضم بعض المناطق إليه في سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م(٥٤)؛ مما دعا محافظ مكة إلى مراسلة ابن مجثل ليستفهم منه عن هذا الموضوع(٥٥)، ويحذره بأن الدولة العثمانية عازمة على إرسال قوة جديدة من الفرسان والخيالة والعساكر لقتاله إذا ما أصر على الاستمرار في مقاومة قواتهم(٥٦). وهذا دليل يؤكد قوة ابن مجثل ودعم القبائل في عسير ومناصرتها له، بحيث أصبح مصدر خطر يهدد أراضي الدولة العثمانية في الحجاز وبلاد اليمن.

وعلى أية حال فقد استمر ابن مجثل في نشاطه العسكري، حيث تمكن من ضم أبو عريش لحكمه صلحًا سنة

(٥٢) معية تركي. نمرة٣٥، صحيفة ٨٤. مكاتبة ٢٣٤ من الجناب العالي إلى حبيب أفندي، بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٢٤٣هـ.

(٥٣) دفتر رقم ٧٥١. ديوان خديوي ص١٠. نمرة١٦. من الديوان الخديوي إلى محمد علي آغا الزعيم المعسكر بدمياط، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٤٤هـ.

(٥٤) محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٣٥.

(٥٥) دفتر ٤٠. ورقة٩٦. نمرة الوثيقة ٥٦٩، من أحمد باشا يكن إلى علي بن مجثل شيخ عسير الأكبر، بتاريخ ٥ شعبان ١٢٤٦هـ.

(٥٦) دفتر ٤٠. ورقة٩٥. نمرة الوثيقة ٥٦٦. من الجناب العالي إلى محمد بن عون أمير مكة، بتاريخ ٥ شعبان ١٢٤٦هـ.

١٢٤٨هـ/١٨٣٢م بمساعدة تركجة بيلمز(٥٧)، أحد الجنود الألبان، كما تمكن من ضم بعض المدن والموانئ اليمنية بمساعدته كذلك(٥٨)، وقد استمر نفوذ ابن مجثل بكل قوة وازدياد حتى وفاته سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م(٥٩).

وبعد نظرة إلى الأوضاع الداخلية والأحوال السياسية في الإقليمين آنذاك، فقد لاحظنا أن نجدًا شهدت هدوءًا واضحًا واستقرارًا كبيرًا خلال فترة حكم الإمام تركي، التي عاصر خلالها حكم أميرين في عسير هما: سعيد بن مسلط، وعلي بن مجثل، كما شهدت عسير خلال حكم هذين الأميرين كفاحًا ونضالاً ضد الحملات العثمانية -المصرية على البلاد، حيث بذلا جهودًا بارزة في مقاومتها والتفوق عليها، وكذلك توسيع دائرة نفوذ إقليم عسير ليمتد إلى الأقاليم المجاورة.

أما عن الصلات التي ربطت نجدًا بعسير خلال تلك الفترة، فيمكن القول إن عسير عادت آنذاك لتوثق علاقتها مع الإمام تركي وتقدم له الولاء والطاعة بعد انقطاع بينهما منذ سقوط الدولة السعودية الأولى(٦٠)، حيث تهيأت الأحوال

(٥٧) تركجة بيلمز: هو صهر محمد علي باشا، كان أحد خيالة الجيش العثماني في الحجاز، ثم تزعم ثورة في الحجاز ضد حكومة محمد علي. انظر: عائض الروقي: حروب محمد علي في الشام، ص١٣، هامش (٦).

(٥٨) محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٣٦.

(٥٩) غيثان بن جريس: عسير، ص٣٠.

(٦٠) يبدو أن سبب هذا الانقطاع هو انشغال كلا الإقليمين بمواجهة الحملات العثمانية التي تتابعت على بلادهما وأدت - كما مر بنا - إلى قيام الفوضى والاضطرابات فترة من الزمن، أعقبها نجاح القادة في كلا الإقليمين في إرساء دعائم الأمن في البلاد وتثبيت حكمهم فيها.

السياسية المناسبة لذلك، خاصة أن الدعوة الإصلاحية لا تزال سيرتها الحسنة متوطنة في قلوب قادة عسير وأفئدة أهلها، وكانوا يتطلعون إلى تنسيق جهودهم مع الدولة السعودية ضد الوجود العثماني في المنطقة(٦١)، وكانت الدولة العثمانية تدرك هذا الأمر وتخشى منه، ومما يؤيد ذلك ما بُلّغ به والي مصر محمد علي باشا سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م من أخبار عن ثورة عسير بواسطة أحد المسافرين إلى مصر عن طريق ميناء جدة، ويطمئنه في الوقت نفسه بعدم وجود تقارب بين متزعمي هذه الثورة وحركة الإمام تركي بن عبدالله في نجد لكونها بعيدة عنه(٦٢)، وهذا يشير إلى أن الدولة العثمانية كانت ترقب بحذر حركة الإمام تركي وهو في مرحلة كفاحه وحروبه ضد الحاميات العثمانية الموجودة في نجد، وتخشى في الوقت نفسه من الثورات المناهضة للحكم العثماني في عسير وتسعى لمنع أي اتصال بين القوتين، ولكن لم تنجح محاولات الدولة العثمانية في إبعاد التقارب بينهما، فمع أوائل السنة التي اعتلى بها الإمام تركي الحكم، راسله الأمير سعيد بن مسلط(٦٣)، من أجل التنسيق معه لمواجهة عدوهما المشترك من قوات محمد علي، وقد رد عليه الإمام تركي بإرسال أحد المشايخ إليه ويدعى

(٦١) عبدالمنعم الجميعي: ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية، ص٢٩.

(٦٢) محفظة رقم ٨ بحربرا. وثيقة رقم ١٤٧. من محمد بن عقيل إلى محمد علي باشا، بتاريخ ١٧ شوال ١٢٣٨هـ.

(٦٣) دفتر ١٤ معية تركي. وثيقة نمرة ٤٣٧. ورقة ٤٧ من الجناب العالي إلى أحمد باشا محافظ مكة، بتاريخ ٢ جماد الأولى ١٢٤٠هـ؛ عبدالرحيم عبدالرحمن: شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي، ج٢، ص٢٥٠.

محمد بن عبدالعزيز[٦٤]، للاتفاق معه، ووضع الخصم بين فكي كماشة[٦٥]، وقد كانت هذه المراسلات بين الطرفين سببًا في إغراء الدولة العثمانية شيخ قبيلة مطير فيصل الدويش بإرسال بعض الهدايا إليه ليقوم بمهاجمة الإمام تركي في الرياض[٦٦]، لإعاقة أي تقارب بينه وبين أمراء عسير[٦٧]، إلا أن جهود الدولة العثمانية باءت بالفشل، إذ لم يقم الدويش بأي عمل يذكر في هذا الشأن سوى محاصرة الرياض ثم الانسحاب عنها[٦٨]، في حين استمر الإمام تركي في محاولة التنسيق مع أمير عسير بعد ذلك[٦٩]، ولكن فترة إمارة ابن مسلط لم تستمر طويلاً، فقد توفي سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م دون أن يتم تنسيق موحد وعمل فعلي بينهما ضد القوات العثمانية.

(٦٤) لم نعثر على ترجمة له في المصادر المعاصرة.

(٦٥) علي عسيري: عسير، ص٢٤٨؛ عبدالمنعم الجميعي: ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية، ص٢٩؛ خليفة عبدالرحمن المسعود: موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية ١٢٣٤-١٢٨٢هـ/١٨١٨-١٨٦٦م، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص١٧٦.

(٦٦) تذكر بعض المصادر - مثل البسام: مخطوط تحفة المشتاق، ورقة ١٢٣أ، وابن بشر: عنوان المجد، ج٢، ص٣٤ - أن قدوم الدويش كان بطلب من أهل الرياض.

(٦٧) محفظة رقم ٩ بحربرا. وثيقة ٦٦ من أحمد باشا إلى صاحب الدولة والعناية، بتاريخ ٧ ربيع أول ١٢٤٠هـ؛ ودفتر رقم ١٤ معية تركي. وثيقة نمرة ٤٣٧، ورقة ٤٧، كتاب من الجناب العالي إلى محافظ مكة، بتاريخ ٤ جمادى الأولى ١٢٤٠هـ.

(٦٨) البسام: مخطوط تحفة المشتاق، ورقة ١٢٣أ؛ ابن بشر: عنوان المجد، ج٢، ص٣٤.

(٦٩) خليفة المسعود: موقف القوى المناوئة، ص١٧٦.

ولو استمر التكاتف والتنسيق بين القوتين ضد عدوهما المشترك لأمكن - في ظني - إبعاد الخطر العثماني عن المنطقة منذ وقت مبكر.

أما الحاكم الثاني في عسير المعاصر لعهد الإمام تركي وهو علي بن مجثل، الذي عرف عنه تمسكه بالدعوة الإصلاحية، وعمله على الولاء لحكام آل سعود والسير على نهجهم وسياستهم، كما كان من أشد مناصريهم ومن أكبر المؤيدين لهم [٧٠]، فمن خلال تتبعنا لمصادر تلك الفترة لم نعثر على أي مراسلات بين الإمام تركي وأمراء عسير في تلك السنوات، ويبدو أن ذلك يرجع إلى أن إقليم عسير في عهد إمارة ابن مجثل كان قد بلغ من القوة والمكانة والاتساع، بحيث أصبح مرهوب الجانب أمام جيرانه من القوى المحيطة - كما مر بنا - وكان له نفوذ واضح عليها، كما أصبح لقادته وأهله قدرة فائقة وشجاعة كبيرة في مقاومة الجيوش العثمانية - المصرية ودحرها، فلم تَدْعُها الظروف إلى الاستعانة بقوات من الدولة السعودية في تلك الفترة؛ لأنها كانت قادرة على صد الأعداء دون الحاجة إلى دعم خارجي.

من جانب آخر كان الإمام تركي يرى في ابن مجثل خير أمير يسعى إلى المحافظة على نهج الدولة السعودية والولاء لها، ويتبع في سياسته وإدارة شؤون الإقليم مبادئ الدعوة الإصلاحية التي كانت قد توطنت في نفوس الأهالي منذ وقت مبكر.

(٧٠) محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٣٥٣؛ عبدالمنعم الجميعي: ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية، ص٢٩.

وأيًا كان الأمر فمن الواضح أنه كان هناك اتفاق بين الجانبين، يجمعهما رابط العقيدة الإسلامية والتمسك بالدعوة الإصلاحية والدولة السعودية ومقاومة أطماع والي مصر محمد علي باشا ونفوذ الدولة العثمانية لإبعاد جيوشهم عن المنطقة.

وقد استمر قادة الإقليمين في نجد وعسير في إقرار مناطق نفوذهما حتى سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م - كما أسلفنا - حين اغتيل الإمام تركي بن عبدالله في الرياض متزامنًا مع انتهاء إمارة الأمير علي بن مجثل في عسير بوفاته في ذلك العام نفسه.

ثانيًا: نجد وعسير، المرحلة الثانية (١٢٥٠-١٢٨٢هـ/١٨٣٤-١٨٦٥م)

تولى الإمام فيصل بن تركي [٧١]، حكم الدولة السعودية الثانية مع أوائل سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م بعد أن تمت له

(٧١) الإمام فيصل: هو أكبر أبناء الإمام تركي بن عبدالله، وقد ورد أول ذكر له في المصادر المعاصرة عند مشاركته مع جيوش الدولة السعودية الأولى حين ضمت إليها مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، ومشاركته كذلك أثناء حصار الدرعية من قبل إبراهيم باشا، حيث أسر بعد ذلك وأرسل إلى مصر سنة١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م ثم تمكن من العودة بعد مرور عشر سنوات تقريبًا، وذلك في فترة إمامة والده على نجد. تولى حكم الدولة السعودية مرتين، الأولى من سنة ١٢٥٠-١٢٥٤هـ/١٨٣٤-١٨٣٨م، وامتدت الفترة الثانية من سنة ١٢٥٩هـ حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ/١٨٤٣-١٨٦٥م. انظر: مخطوط مقبل الذكير، ورقة ٢٢٨-٢٢٩؛ عبدالفتاح أبو علية: الدولة السعودية الثانية، ١٢٥٦-١٣٠٩هـ/١٨٤٠-١٨٩١م، (ب. ت)، ص٢٧-٢٨.

السيطرة على مقاليد الأمور في العاصمة الرياض، وحظي بمبايعة أمراء البلدان ورؤساء القبائل والعشائر وإعلانها تأييدها له [٧٢]، حيث استعاد المناطق والأقاليم نفسها التي خضعت لوالده مؤسس الدولة السعودية الثانية الإمام تركي بن عبدالله. وفي غمرة الجهود التي كان يقوم بها لتثبيت دعائم مملكته وإرساء حكمه في البلاد، عاودت الدولة العثمانية ممثلة في واليها على مصر محمد علي باشا، استئناف نشاطها العسكري ضد السعوديين، فأرسلت إليه سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م حملة يقودها إسماعيل بك لكنها من الناحية الاسمية تحت راية أحد أبناء آل سعود هو الأمير خالد بن سعود [٧٣]، لجعله حاكمًا على المنطقة [٧٤]، وذلك حتى يكسب ثقة النجديين ويضمن ولاءهم له، ثم أعقبها حملة أخرى تزعمها أحد قواده هو خورشيد باشا سنة

(٧٢) البسام: مخطوط تحفة المشتاق، ورقة١٣١؛ صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ب. ت)، ج١، ص٢٧٩.

(٧٣) خالد بن سعود: أخو الإمام عبدالله، كان ضمن الأسرى الصغار الذين أخذوا إلى مصر عقب تدمير الدرعية، فنشأ في كنف محمد علي حيث اختاره ليصاحب حملة جديدة إلى نجد، ويعينه أميرًا على المنطقة تنفيذًا لسياسته المستندة إلى تعيين الحكام المحليين أداة لبسط نفوذه. انظر: أمين الريحاني: نجد وملحقاتها وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، (الطبعة الخامسة، الرياض: منشورات الفاخرية بالاشتراك مع دار الكاتب العربي ببيروت، ١٩٨١م)، ص٩٤-٩٥؛ مديحة درويش: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، (الطبعة الثامنة، جدة: دار الشروق، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص٥٩.

(٧٤) عائض الروقي: حروب محمد علي في الشام، ص١٩٨.

١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م كان من نتائجها أن اضطر الإمام فيصل للاستسلام، ورُحِّل إلى مصر [٧٥].

وبرحيل فيصل، انتهت الفترة الأولى من حكمه، وخضعت البلاد بعدها لحكم الأمير خالد بن سعود، إلا أن إمامته لم تدم أكثر من سنتين إذ نظر إليه أهل نجد نظرة الغريب عنهم، المدعوم من عدوهم، وقامت ضده حركة مناوئة تزعمها ابن عمه الأمير عبدالله بن ثنيان [٧٦]، ونجح في تولي الحكم من بعده، وذلك سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م [٧٧]، ساعده في ذلك انسحاب قوات محمد علي باشا من الجزيرة العربية، حيث أُرغمت على ذلك بموجب معاهدة لندن[٧٨]. التي عقدت في يوم ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م [٧٩]، إلا أن عبدالله بن ثنيان لم يستمر في الحكم طويلاً، فمع مستهل سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م تمكن الإمام فيصل من مغادرة

---

(٧٥) البسام: مخطوط تحفة المشتاق، ورقة١٣٢-١٣٤؛ ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث، ص١١٨-١١٩؛ عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص٢٤٥-٢٤٩.

(٧٦) هو الأمير عبدالله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود. انظر: البسام: مخطوط تحفة المشتاق، ورقة١٣٦.

(٧٧) مديحة درويش: تاريخ الدولة السعودية، ص٥٩.

(٧٨) انظر بنود هذه المعاهدة في: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، (الطبعة الثانية، بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٤٦٢-٤٦٣؛ عائض الروقي: حروب محمد علي في الشام، ص٥٢٨-٥٣١.

(٧٩) عبدالرحيم عبدالرحمن: شبه الجزيرة العربية في عهد محمد علي، ج٢، ص٢٣٩؛ سعد الحلواني ومحمد الغامدي: التاريخ السعودي الحديث والمعاصر، ص١٢٠.

مصر والقدوم إلى نجد، حيث نجح في استعادة حكم البلاد وبدأت بذلك فترة حكمه الثانية التي استمرت نحو ثلاثة وعشرين عامًا (٨٠)، وتُعد هذه الفترة العصر الذهبي للدولة السعودية الثانية، حيث نعمت البلاد بالأمن والرخاء والاستقرار السياسي، فقد عمل فيصل لتثبيت دعائم الحكم في البلاد بكل هدوء بعيدًا عن أي تدخل أجنبي أو هجوم خارجي، واستمرت دولته تنعم بالأمن والأمان والتقدم حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م (٨١).

أما عن الأوضاع في إقليم عسير في تلك الفترة، فقد تولى الحكم فيه الأمير عائض بن مرعي (٨٢) سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، بعد أن أوصى له ابن مجثل بالإمارة قبل وفاته، وقد سار على نهج أسلافه من تأييد الدعوة الإصلاحية والاستقاء من أصولها والولاء لها (٨٣)، ولعل أبرز

(٨٠) عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص٢٦٥.

(٨١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الفترة وأحداثها، يمكن الرجوع إلى: مخطوط مقبل الذكير، ورقة ٧١-٨٥؛ عبدالفتاح أبو علية: الدولة السعودية الثانية، ص٩٤ -١٥٠؛ عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص٢٦٣-٢٨٤.

(٨٢) عائض بن مرعي المغيدي: هو أول أمير في عسير يؤول إليه الحكم بتعيين من سلفه، وصاحب أطول عهد حكم فيه أمير في الإقليم. امتدت فترة إمارته نحو أربعة وعشرين عامًا، عُرف بالشجاعة والشدة في الحروب ونجح في التصدي للحملات العثمانية - المصرية، وقد قام بعدة حملات عسكرية موفقة على المخلاف السليماني وبلاد غامد وزهران. انظر: علي صميلي: العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير، ص٢٠١-٢٠٢، هامش١٦٢؛ عبدالمنعم الجميعي: عسير خلال قرنين، ص١٦.

(٨٣) عبدالمنعم الجميعي: ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية، ص٣٠-٣١.

الأحداث في عهده ما تم في مستهل إمارته حين أعد محمد علي باشا حملة قوية على عسير تعتبر من أكبر الحملات التي شنت على الإقليم، سواء من حيث عدد الجند أو حداثة التسليح [٨٤]، وقد تقدمت نحو المنطقة مع أوائل سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، واشتبكت مع أهالي عسير الذين كانوا تحت قيادة الأمير عائض، وكانت الكفة في المرحلة الأولى لصالح جيوش محمد علي باشا قرب خميس مشيط [٨٥]، مما شجعهم على مواصلة الزحف [٨٦] نحو مدينة أبها [٨٧]، في وقت كان فيه الأمير عائض يعمل لإعادة تنظيم صفوف جيشه، وحين تم له ذلك هاجمت قواته جيش محمد علي باشا بكل بسالة وشجاعة، وتمكن مقاتلو عسير من إلحاق هزائم متتابعة بهم، حيث اتبعوا في القتال أسلوب حرب

(٨٤) محمد آل زلفة: دراسات في تاريخ عسير، ص٣٨-٣٩.

(٨٥) خميس مشيط: تقع على الجانب الغربي لوادي بيشة وفي متسع منفتح من الأرض عند انتهاء السلاسل الجبلية وعلى مجرى الوادي؛ ولذا سهل الوصول إليها، كما سهل اتصالها بالمناطق الأخرى، وهو ما جعلها محطة على طرق القوافل القديمة، وصارت سوقًا من أهم الأسواق الأسبوعية في المنطقة، ونسبت إلى أمير شهران ابن مشيط، فسميت سوق خميس ابن مشيط، ثم خميس مشيط للتخفيف. انظر: عبدالرحمن الشريف: جغرافية المملكة، ج٢، ص٣١٣-٣١٤.

(٨٦) سعد الحلواني: العلاقات بين مصر والحجاز في القرن التاسع عشر، (الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٦٧.

(٨٧) أبها: كانت في الأصل سوقًا من الأسواق المشهورة في السراة، وكان اسم أبها التي يقع بها السوق مناظر، ومناظر حلة من حلات المدينة بعد توسعها الحالي. وقد كانت هذه المدينة مركزًا لمتصرفية عسير زمن حكم العثمانيين، ثم أصبحت قاعدة لحكم آل عائض. انظر: عبدالرحمن الشريف: جغرافية المملكة، ج٢، ص٣٠٩-٣١٠.

العصابات والحرب التقليدية والهجمات الخاطفة، وقد أدت هذه الطريقة في القتال إلى إرباك القوات المهاجمة وعجزها عن المقاومة (٨٨)، وهو ما أسفر عن تكبدهم خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات العسكرية، وقد كتب قادة الجيش أسماء القتلى والمفقودين والجرحى والهاربين وحصروهم، وكذلك حصروا الآليات والمعدات التي خسروها في القتال(٨٩)، كما أوضحت مراسلات القادة في الحملة أن أهالي البلاد قد غنموا منهم الأسلحة والمعدات العسكرية، وعليه أصبح جنودهم عزلاً من السلاح(٩٠)، بالإضافة إلى انسحاب عدد من أفراد الجيش وانضمامهم إلى الأمير عائض بن مرعي بكل رضا واقتناع، حيث استقبلوا بكل إكرام من مواطني البلاد(٩١)، وقد أشارت المراسلات كذلك إلى ذكر عدد أفراد الهاربين في كل منطقة من المناطق التي فروا إليها(٩٢).

(٨٨) موريس تاميزيه: رحلة في بلاد العرب، الحملة المصرية على عسير، ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م، ترجمه وعلق عليه: محمد آل زلفة، (الطبعة الأولى، الرياض، مطابع وإعلانات الشريف، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٣٣٣؛ محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٤٣.

(٨٩) محفظة رقم ٢٥١ عابدين. صورة الوثيقة العربية رقم١٤٨، ومن أحمد آغا، في غاية صفر ١٢٥١هـ؛ محفظة ٢٥١ عابدين. وثيقة رقم ١٣٣ من إبراهيم توفيق، في ٢٥ صفر ١٢٥١هـ.

(٩٠) محفظة رقم ٢٥١ عابدين. وثيقة رقم ١٥١ من أحمد شكري باشا، في ٤ ربيع أول ١٢٥١هـ.

(٩١) محمد آل زلفة: دراسات في تاريخ عسير، ص٤١؛ موريس تاميزيه: رحلة في بلاد العرب، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٩٢) محفظة رقم ٢٥١ عابدين. صورة الوثيقة العربية رقم ١٤٨ من أحمد آغا صاعقول آغاسي طوبجية وعربجية بيادة، في صفر ١٢٥١هـ.

وقد طالب قادة الجيش العثماني محمد علي باشا بالبحث عن حل لتغيير الجند والعساكر الذين شاركوا بالحملة؛ لأنهم من واقع التجربة لا يصلحون للقتال [٩٣]. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قوة أهالي عسير وعلى استبسالهم في القتال وتصديهم بكل شجاعة لجيوش محمد علي التي كانت تفوقهم كثيرًا في التسليح وتتقدم عليهم بالتجهيزات والإمكانيات.

وبذلك تحقق نصر كبير لأهالي عسير وتهيأت الأوضاع لعقد صلح بين الطرفين يوم الجمعة ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٥١هـ، وتم بموجبه رحيل قوات محمد علي باشا من المنطقة، وحصول عسير على استقلالها لتصبح بذلك أول وحدة سياسية في الجزيرة العربية تحظى بالاستقلال التام[٩٤].

وبعد هذه الاتفاقية تفرغ عائض لإجراء بعض الإصلاحات الداخلية في إمارته وتنظيم شؤونها وتوطيد أركانها، وامتدت سلطته على كثير من البلدان المجاورة، وظلت إمارته في قوة واتساع وكفاح ضد الحملات العثمانية المصرية التي عاودت نشاطها الهجومي على المنطقة بعد مرور ثلاث سنوات من الاتفاقية السالفة الذكر، حتى وفاته سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م[٩٥]، وتولى الإمارة من بعده ابنه

(٩٣) محفظة رقم ٢٥١ عابدين. وثيقة رقم ١٥٣ من أحمد شكري باشا في ٤ ربيع الأول ١٢٥١هـ.

(٩٤) محمد آل زلفة: دراسات في تاريخ عسير، ص٤١-٤٢؛ علي الصميلي: العلاقة بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير، ص١٧٦.

(٩٥) محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٤٥-٥٤٦.

محمد[٩٦]، الذي واصل المسيرة في تثبيت دعائم الحكم في البلاد، وفي التصدي للحملات العثمانية المصرية، وظل على ذلك حتى نهاية حكمه معاصرًا لفترة من حكم الإمام فيصل بن تركي بلغت نحو تسع سنوات.

أما عن العلاقة والصلة التي ربطت بين نجد وعسير خلال تلك الفترة، فنجد أن الدولة العثمانية - ممثلة في واليها محمد علي باشا وأمير مكة المكرمة محمد بن عون ومحافظها أحمد باشا وغيره من القادة الأتراك - هي التي حكمت هذه العلاقة، فقد خططت هذه الدولة للقضاء على أي حركة وطنية تقوم في المنطقة، فحين تولى ابن مجثل الإمارة في عسير سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، متزامنًا مع تولي الإمام فيصل بن تركي حكم نجد في الفترة الأولى، قرر محمد علي باشا استئناف نشاطه العسكري في المنطقة، وبدأ بأسلوب جس النبض مع الإمام فيصل فأرسل إليه وفدًا بزعامة دوسري أبو نقطة[٩٧]، لكي يطلب منه دفع أموال

(٩٦) محمد بن عائض بن مرعي: هو أول أمير عسيري تؤول إليه الإمارة بالوراثة من والده، وقد اكتسب مجدًا في قومه نتيجة لانتصارات والده على الحملات العثمانية- المصرية وصدهم عن بلاده، حكم البلاد من سنة ١٢٧٣ حتى ١٢٨٩هـ/١٨٥٦-١٨٧٢م. انظر: محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٤٩؛ عبدالمنعم الجميعي: عسير خلال قرنين، ص١٧-١٩.

(٩٧) دوسري بن عبدالوهاب أبو نقطة من آل المتحمي، كان ضمن الأسرى الذين حملهم إبراهيم باشا من الدرعية إلى مصر، ثم عادوا بعد ذلك. انظر: ابن بشر: عنوان المجد، ج٢، ص١٣٧، وأسره من الدرعية دليل يؤكد وجود عدد من أهالي عسير الذين قدموا إلى نجد لمساعدة الدولة السعودية الأولى ضد الحملات العثمانية - المصرية.

خـراجيـة لحكومـة محـمـد علي باشـا، بالإضـافـة إلى الدعم العسكري لجيوشـهـا في عسـيـر، التي كانت قد اشـتبكت في معارك حربية مع الأهالي هناك[٩٨].

ولا شك أن إرسـال أبو نقطة الذي لا يزال يحـتـفظ بـالود والولاء للسـعـوديين، كان الهدف منه اختبـار ولائه وانقيـاده لمحمد علي باشـا، وإحراجه لدى من كان مواليًا لهم[٩٩]، ويبدو من جهة أخرى أن محمد علي باشـا كان يدرك العلاقة القوية التي تربط الدولة السعودية بإقليم عسير وتبعية هذا الإقليم وولائه للسعوديين في دولتهم الأولى، فـرغب في جس النبض؛ ليعرف مدى التقارب بين الطرفين في ضوء معطيات المرحلة الأولى في عهد الإمام فيصل بن تركي، وهل سيتم استخدام تحـالف بين الجانبين ضده في المنطقة، خاصة أنه قد أرسل في الوقت نفسـه عددًا من الجواسيس إلى عسير للتقصي عن أوضاعها ومعرفة أحوالها الداخلية[١٠٠].

وقد تمثل موقف الإمام فيصل من هذا الطلب في إدراكه صـعـوبة تلبـيـتـه حـيث اعـتـذر عن عـدم إمكانيـة دعم جيوشهم[١٠١]، فإمداده ودعمه للجيش العثماني - المصري قد يستخدم ضده مستقبلاً، كما سيستخدم ضد عسير التي

(٩٨) محفظة رقم ٥٠ عـابدين. وثيقة رقم ٧ من سليمان محافظ جدة إلى صاحب الدولة ولي النعم في غرة جمادى الآخرة ١٢٥٠هـ.

(٩٩) خليفة المسعود: موقف القوى المناوئة، ص٢٢٤-٢٢٥.

(١٠٠) محفظة رقم ٢٥١ عابدين. وثيقة رقم ٧٠ من العبد الهاشمي، في ٣صفر ١٢٥١هـ.

(١٠١) دفتر رقم ٢٢٠ عابدين. وثيقة رقم ١٧ من محمد علي باشا إلى خورشيد باشا، في ٤ ذي القعدة ١٢٥١هـ.

يربط زعماءها به الولاء للدولة السعودية[١٠٢]، ولكنه رأى أن يتبع أسلوب المهادنة، ففضل أن يرسل أخاه الأمير جلوي بن تركي إلى محافظ مكة حاملاً بعض الهدايا إليه[١٠٣]، مبديًا رغبته في طيب العلاقة، وموضحًا صعوبة وضعه الاقتصادي في ظل المرحلة التي تعيشها دولته وهي في طور البناء، ولكن الباشا لم يقتنع بذلك، فأوحى بشيء من مخططات محمد علي باشا المتضمنة تسيير حملة على نجد بقيادة الأمير خالد بن سعود، وما أعقب ذلك من أحداث انتهت باستسلام الإمام فيصل وترحيله إلى مصر كما مر سابقًا.

إذاً فقد كانت الدولة العثمانية تسعى إلى إبعاد أي تقارب بين نجد وعسير، وتسارع لتقصي الأخبار حتى لا يتم تحالف بينهما، - وكما مر بنا - حاولت الحصول على دعم عسكري من الإمام فيصل بن تركي ضد أمير عسير، ولكنها لم تنجح في مخططها لأن قوة الارتباط ومتانته بين الدولة والإقليم حالت دون تحقيق تطلعاتهم في المنطقة، حيث استمرت دعائم الصداقة وحسن الجوار بين المنطقتين طوال تلك الفترة، التي تميزت في نجد بهدوء سياسي بعيدًا عن أي هجمات عثمانية - مصرية خلال حكم الإمام فيصل بن تركي للمرة الثانية[١٠٤].

(١٠٢) عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص٢٤٢.

(١٠٣) ابن بشر: عنوان المجد، ج٢، ص١٣٧.

(١٠٤) أورد عبدالمنعم الجميعي في كتابيه: ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية، ص٣١، وعسير خلال قرنين، ص١٦: أن الإمام فيصل بن تركي في فترة حكمه الثانية طلب من ابن عائض إمداده ببعض =

أما عسير- كما مر بنا - فقد استمرت الحملات تهاجم هذا الإقليم تباعًا ولم تهدأ سوى سنوات قليلة، وهي الفترة التي أعقبت عقد الصلح بين القائد العثماني وعائض بن مرعي الذي انتصر على العثمانيين انتصارًا كبيرًا سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٤م، حيث برزت الصلة بين الجانبين بعد هذا الانتصار، فلم ينسَ أهالي عسير ما كان يربطهم من ولاء وتبعية لآل سعود منذ عهد دولتهم الأولى، فقد حرص الأمير عائض على إرسال بعض الغنائم التي حصل عليها من الأسلحة والخيل إلى الإمام فيصل بن تركي في الرياض[١٠٥]، وكان يراسله في محاولة للتنسيق معه من أجل تشتيت أي تحالف وهجمات تقوم بها الحملات العثمانية-المصرية حتى لا تركز جهودها في ميدان واحد[١٠٦]. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على استمرار الصلات السياسية بين الحكومتين، وعلى توثق عرى الصداقة والأخوة بينهما، وارتباطهما بهدف واحد هو الاتفاق والتكاتف والتآزر من أجل إبعاد أي نفوذ أجنبي عن بلادهما والمتمثل في عدوهما المشترك من القوات العثمانية والمصرية.

= القوات لمساعدته في محاربة عدوهما المشترك، فلبى ابن عائض النداء وساند فيصلاً بكل ما يملكه من دعم ومساندة. وفي الواقع فإن كتب المصادر والمراجع لا تورد ذكرًا لهذه الاستعانة أو لتعرض نجد لحملات عثمانية كالتي داهمتها في السابق.

(١٠٥) ابن بشر: عنوان المجد، ج٢، ص١٣٤- ١٣٥؛ علي عسيري: عسير، ص٢٤٨.

(١٠٦) عائض الروقي: حروب محمد علي في الشام، ص٢٢٣-٢٢٤.

كما استمر الإخاء والمشاركة الوجدانية بين زعماء الإقليمين، فحين تحقق للأمير عائض بن مرعي النصر على القوات العثمانية بعث ببعض الهدايا للإمام فيصل بن تركي(١٠٧)، ومعها قصيدة(١٠٨) نظمها له شاعره علي الحفظي(١٠٩)، وهي تفيض بالود وتشيد بقوة تحمل الإمام ما أصابه لسنوات طويلة حتى ظفر بالنصر المبين وصد الأعداء عن بلاده، وقد رد شاعر الإمام فيصل أحمد بن مشرف(١١٠) على الرسالة بقصيدة

(١٠٧) علي عسيري: عسير، ص٢٥٤.

(١٠٨) انظر القصيدة في: محمد بن إبراهيم زين العابدين الحفظي: نفحات من عسير، ديوان شعر من قصائد أسلاف آل الحفظي (١٣٩٣هـ/١٩٧٤م)، ص١٢٦-١٢٩.

(١٠٩) علي بن الحسين الحفظي: ولد في بلدة رجال ألمع سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م وأتم تعليمه في بلدته، ارتحل في طلب العلم إلى تهامة اليمن ومدينة الدرعية ثم عاد إلى بلدته، حيث تولى القضاء في عسير في عهد الأمير عائض بن مرعي، وقد توفي سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م. انظر: عبدالله محمد أبو داهش: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، ١٢٠٠-١٣٥١هـ/١٧٨٥-١٩٣٢م، (الطبعة الثانية، أبها: نادي أبها الأدبي، مطابع الجنوب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٢٦٤، هامش (١).

(١١٠) أحمد بن علي بن مشرف: ولد ونشأ وتعلم في الزبارة، وأتم قراءته على يد علماء الأحساء، كان عالمًا فقيهًا كفيف البصر منذ طفولته، وقد عرف بملكته الشعرية القوية، وله قصائد طوال في المناسبات وفي مديح أئمة آل سعود، ألف وصنّف في أصول الدين، ولاه الإمام فيصل قضاء الأحساء وأقره عليه الإمام عبدالله بن فيصل بعد أبيه، توفي في الأحساء سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م. انظر: عبدالله عبدالرحمن البسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، (الطبعة الأولى، الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ)، ج١، ص٥٠٢-٥٠٣.

طويلة [١١١]، توحي بالثناء والامتنان للأمير عائض وقومه، وهذا من أكبر الأدلة على قوة الارتباط وعلاقة حسن الجوار وصدق المشاعر بينهما.

ثالثاً: الصلات بينهما بعد عهد الإمام فيصل بن تركي حتى نهاية الدولة السعودية الثانية ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م

في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، توفي الإمام فيصل بن تركي في الرياض، وبويع لابنه عبدالله[١١٢] بالإمامة، غير أنه لم يمض عام واحد على توليه الإمامة حتى خرج عليه أخوه سعود[١١٣] ينازعه في الحكم[١١٤]، وشهدت البلاد بعدها سلسلة من الاضطرابات

---

(١١١) انظر القصيدة في: محمد الحفظي: نفحات من عسير، ديوان شعر من قصائد أسلاف آل الحفظي، ص١٣٠-١٣٣.

(١١٢) الإمام عبدالله: هو أكبر أبناء الإمام فيصل بن تركي، وكان مفوضًا بتصريف أمور الدولة خلال السنوات الأخيرة من حكم والده، كان متصفًا بالشدة، وقد أسندت إليه قيادة الجيوش في حروب حاسمة لبلاده، وهو ما جعله ذائع الصيت مهيب الجانب في الدولة، تولى الحكم بعد وفاة والده في وقت كانت فيه الدولة في قوة عزها ومجدها. انظر: مخطوط مقبل الذكير، ورقة ٨٦؛ خليفة المسعود: موقف القوى المناوئة، ص٤٠٥.

(١١٣) سعود: هو ثاني أبناء الإمام فيصل، أسندت إليه إمارة الخرج في عهد أبيه فترة من الزمن، حين تولى أخوه عبدالله حكم نجد نازعه في الحكم عدة سنوات، وتمكن من تولي الإمامة سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٤م، حتى سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م. انظر: مخطوط مقبل الذكير، ورقة٩٠؛ ابن بشر: عنوان المجد، ج٢، ص٢٨.

(١١٤) اختلفت الروايات المحلية في ذكر سبب هذا النزاع، إذ لم تذكر أسبابًا واضحة وقوية لذلك، فقد أورد لنا البسام في مخطوطه: تحفة المشتاق، ورقة ١٤٩: أنه كانت بين الأخوين منافرة دون أن يذكر سببها، بينما ذكر الذكير في مخطوطه، ورقة ٨٦: أن =

والنزاعات الداخلية بين أبناء الإمام فيصل، كما شهدت تدخلات خارجية، انتهت بسقوط الدولة السعودية الثانية، حيث خضعت بلاد نجد لحكم محمد بن رشيد أمير حائل[١١٥]، واستولى الأتراك على الأحساء، وتغلغل النفوذ البريطاني في ساحل الخليج العربي[١١٦].

أما عن الأوضاع في عسير، فكما أسلفنا، تولى محمد بن عائض الحكم خلفًا لوالده، وفي عهده واصلت الدولة العثمانية إرسال قواتها إلى المنطقة فهاجمتها بقيادة محمد رديف باشا وأحمد مختار، وانتهى الأمر بمقتل الأمير محمد بن عائض مع خمسة وثلاثين رجلاً من الرؤساء معه، وذلك

= الصراع كان بسبب اضطهاد عبدالله لأخيه سعود وتضييق الخناق عليه ومنعه من الخروج من بيته مما جعله يثور عليه؛ في حين يذكر العثيمين في كتابه: تاريخ المملكة، ج١، ص٢٨٧، هامش (٤): أن سعودًا قد اعتاد حياة معينة أثناء توليه إمارة الخرج التي فرضت عليه بعض الالتزامات، ربما صعب على أخيه عبدالله توفيرها له، وربما عزل عن الإمارة في عهد والده بقرار من أخيه.

(١١٥) محمد بن عبدالله بن رشيد: تولى إمارة حائل سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م في وقت بلغ فيه الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي ذروته، وقد كان يطمع في تولي حكم نجد، فتهيأت له الظروف والأسباب آنذاك في تنفيذ ما كان يدور في ذهنه من طموح لحكم المنطقة على حساب المتنافسين عليها من آل سعود، وقد نجح في تولي الإمارة في نجد سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م حتى وفاته سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م. انظر: عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص٣٠٤.

(١١٦) للحصول على تفاصيل لهذه الأحداث يمكن الرجوع إلى: مخطوط الذكير، ورقة ٨٦-٩٧؛ تاريخ الفاخرية، ص٢٢٦-٢٣١؛ عبدالله العثيمين: تاريخ المملكة، ج١، ص٢٨٧-٣١٢؛ عبدالفتاح أبو علية: الدولة السعودية الثانية، ص١٥٦-١٨٨.

في شهر صفر سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، ونتيجة لمقتله تحولت عسير إلى متصرفية تابعة للدولة العثمانية يقوم على شؤونها متصرف عثماني، مركزه مدينة أبها(١١٧).

ولتتبع الصلات التي ربطت بين زعماء الإقليمين آنذاك، فإن مصادر تلك الفترة تشير إلى أن الصلة التي ربطت بينهما قد ظهرت سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م؛ فحين خرج الأمير سعود بن فيصل على أخيه الإمام عبدالله ينازعه في الحكم في تلك السنة، أخذ يبحث عن أنصار ومؤيدين له، فلجأ إلى عسير ليطلب العون والمساعدة من الأمير محمد بن عائض، حيث أقام هناك نحو ثلاثة أشهر(١١٨)، وما إن علم أخوه بسفره إلى هناك حتى بعث وفدًا إلى أمير عسير بزعامة الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، والشيخ سعد بن ربيعة، وقد أرسل مع الوفد هدية إلى الأمير محمد بن عائض، وقد حاول الوفد المرسل استمالة الأمير سعود وإقناعه بالعودة إلى الرياض، ولكنه أبى الرجوع، وقد أقام الوفد عدة أيام في أبها حيث أكرمهم ابن عائض غاية الإكرام، ثم أذن لهم بالرجوع وأرسل معهم هدية جليلة للإمام عبدالله ورسالة إليه مما جاء فيها: "...إن سعود بن فيصل قدم علينا وطلب منا المساعدة والقيام معه، فلم نوافقه على ذلك، وأشرنا عليه

(١١٧) محمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٥٤٩؛ عبدالمنعم الجميعي: عسير خلال قرنين، ص١٧-١٩.

(١١٨) البسام: مخطوط تحفة المشتاق، ورقة ١٤٩؛ مخطوط الذكير، ورقة٨٦، الألوسي: تاريخ نجد، ص٩٦.

بالرجوع وترك الشقاق فلم يقبل..."(١١٩)، وكانت هذه الحادثة هي الصلة التي استطعنا التوصل إليها خلال تلك المدة التاريخية، ويتضح منها عدة مدلولات لعل من أبرزها:

١ - أن امتناع الأمير محمد بن عائض عن تقديم أية معونة عسكرية للأمير سعود ومحاولته الصلح بين الأخوين، وحل الخلاف وتقريب وجهات النظر بينهما، دليل كبير على حرصه على كيان الدولة السعودية، وكراهيته حدوث انقسام داخلي يؤثر في أمن البلاد.

٢ - الاحترام المتبادل بين زعماء المنطقتين، فلم يرسل الإمام عبدالله جيشًا لمحاربة أخيه واللحاق به في أرض عسير، بل وفدًا رسميًا، أملاً في حل الخلاف دون أية مشاكل مع صديق وزعيم لمنطقة تتبع دولة أجداده أئمة الدولة السعودية الأولى، واستمرت في تأييدها وصداقتها لدولته.

٣ - التقارب الكبير الذي كان يربط بين الدولة والإقليم، فحين احتاج الأمير سعود إلى دعم ومساندة لجأ إلى إقليم عُرف بولائه وتأييده لحكم آبائه وأجداده منذ وقت تاريخي مبكر، فكانت عسير هي أول أرض يلجأ إليها طالبًا منها المساعدة والدعم والتأييد.

وبعد؛ فتلك الحادثة هي الصلة الوحيدة التي ربطت بين الإقليمين خلال تلك الفترة حتى نهاية الدولة السعودية الثانية - كما مر بنا - فبنهاية حكم الأمير محمد بن عائض

(١١٩) ابن عيسى: عقد الدرر، ص٦١-٦٢.

تحولت عسير إلى متصرفية عثمانية، وتولى الحكم فيها متصرفون عثمانيون يديرون شؤونها خلال فترة كانت فيها بلاد نجد تعاني اضطرابات وانقسامات داخل البيت السعودي، استمرت عدة سنوات حتى سقوط الدولة سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م.

نتائج الدراسة:

توصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج المهمة، والتي أبرزت الصلات التي ارتبط بها إقليما نجد وعسير خلال الحقبة الزمنية لمدة الدراسة، بالإضافة إلى ما لاحظناه وتوصلنا إليه من أوجه تشابه جمعت بينهما، ومن أهم النتائج وأوجه التشابه ما يلي:

أولاً: ارتبطت الدولة والإقليم بعلاقة صداقة وحسن الجوار، وكان بين حكامهما اتفاق واضح في وجهات النظر، مع استمرار الولاء ونمو روح الوطنية لدى أمراء عسير وأهاليها في التعاون وتنسيق الجهود مع حكام الدولة السعودية، يربطهما هدف واحد هو حماية بلادهما وصد الاعتداءات عنهما، المتمثلة في الحملات العثمانية - المصرية التي داهمت المنطقة طوال تلك المدة.

ثانيًا: توثقت الصلات المباشرة التي ربطت بين حكام الدولة السعودية الثانية وعسير؛ فإننا نجد أن فترة حكم الإمام تركي بن عبدالله، قد شهدت تقاربًا واضحًا مع أمير عسير سعيد بن مسلط، وهذا التقارب كان من أجل التنسيق بينهما لمواجهة عدوهما المشترك من الحملات العثمانية -

المصرية، وقد استمر هذا التقارب في عهد الإمام فيصل بن تركي الذي رفض تقديم المساعدة لتلك القوات في حروبها ضد عسير حين طلبوا دعمًا منه لجيوشهم في ذلك الإقليم، وحين انتصر الأهالي عليهم أرسل أميرهم عائض بن مرعي ببشرى الانتصار للإمام فيصل مع بعض الهدايا من الغنائم التي حصل عليها إثر هزيمتهم للقوات العثمانية، كما تبادلا المراسلات والقصائد التي تفيض بالود والأخوة والصداقة.

وحينما اشتعل النزاع بين أبناء الإمام فيصل كانت عسير أول جهة يلجأ إليها الأمير سعود بن فيصل لطلب العون والمساعدة والدعم أثناء نزاعه وأخيه الإمام عبدالله، لكن الأمير محمد بن عائض رفض دعم الأمير سعود ضد أخيه الإمام الشرعي للدولة السعودية الثانية آنذاك.

الأبواب والنقوش الخشبية التقليدية في عمارة المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية

تأليف

د. سعيد بن عبدالله الوايل

٢١٤ صفحة

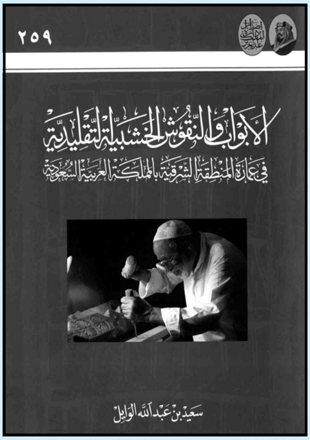

يتحدث عن العمارة التقليدية في شرق المملكة العربية السعودية، ويبين خصائصها، ويشير إلى أبرز المؤثرات المناخية والدينية والاجتماعية، ويحدد الأنماط المعمارية في الأبواب فيذكر أنواعها وأجزاءها.

وقد تناول الكتاب إلى جانب ذلك النقوش الخشبية الإسلامية بصفة عامة، والنقوش والزخارف المحلية في تلك المنطقة، ويذكر مراحل تطور تلك النقوش الخشبية وخصائصها، والأشكال المحورة من الطبيعة، ويبين أساليب الحفر والنقش في الخشب، ويعدد العناصر والرموز الزخرفية، ويشير إلى النقوش الكتابية، كما يذكر العدد والأدوات المستخدمة في إنجاز هذه النقوش والزخارف.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

ص.ب ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٢١٦٤ - فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني info@darah.org.sa